العرب
الجمعة 2019/08/09
السنة 42 العدد 11433

عشرون عاما في الكرملين: عصر بوتين بامتياز

رجل المخابرات يفكر في إنشاء منصب جديد يضمن نفوذه بعد نهاية ولايته

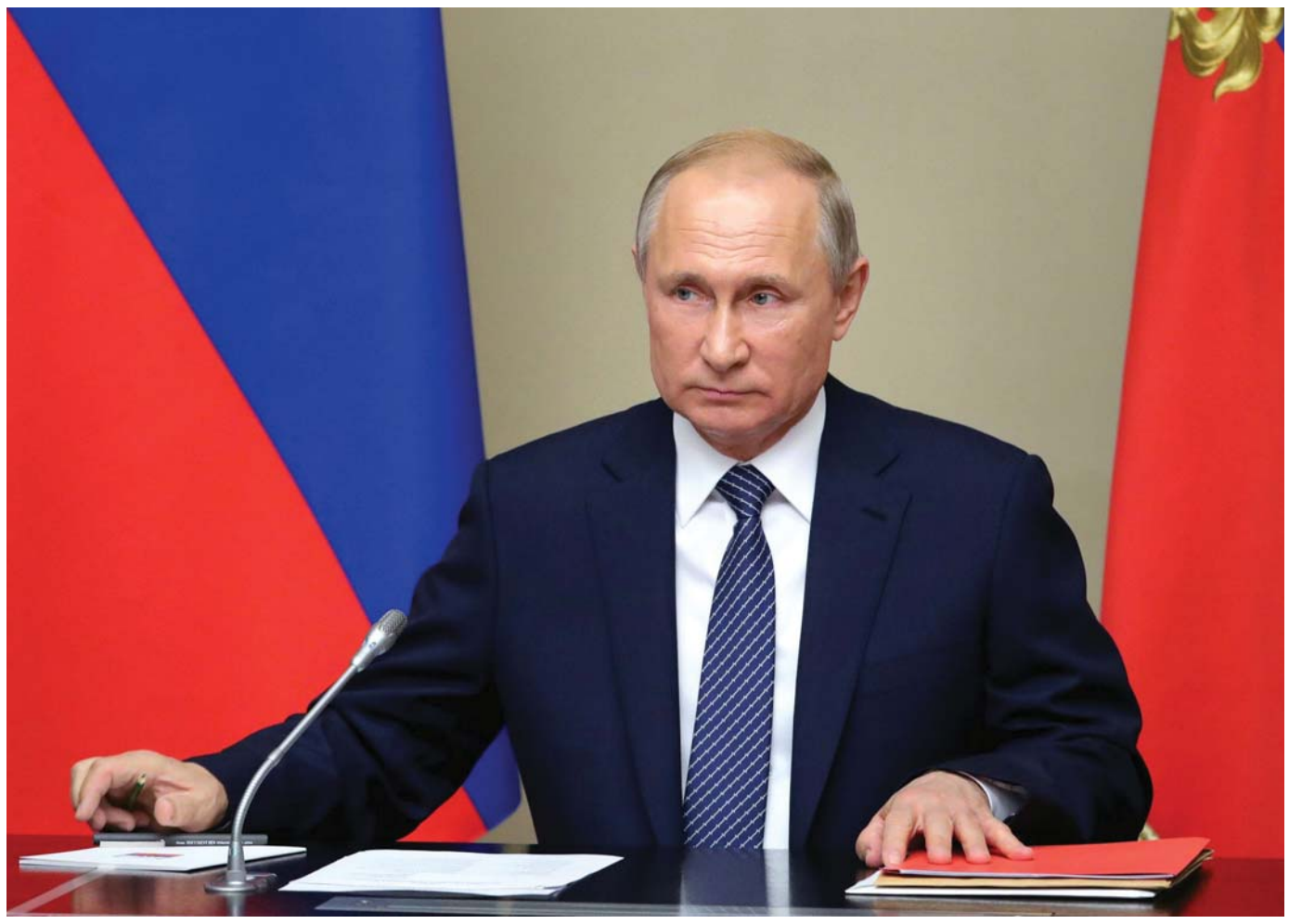

رئيس بصلاحيات سلطان

نجح الرئيس الروسي فلاديمير بوتين طيلة عقدين من الزمن حكم فيهما بلاده، في فرض نفسه كمعادلة سياسية صعبة داخليا وخارجيا بالنظر إلى ما لعبته موسكو من أدوار كبرى في مختلف القضايا الإقليمية والدولية، لكن الرجل الذي يمارس صلاحياته كما لو كان سلطانا وليس رئيسا منتخبا، أصبح يفكر الآن بجدية في مستقبله بعد نهاية ولايته في عام 2024 باعتبار أنها آخر ولاية له بحسب الدستور الروسي، ورغم ما يجابهه من معارضة شرسة مرفوقة باحتجاجات شعبية بسبب تردي الأوضاع الاقتصادية، فإن بعض الخبراء يرجّحون أن يقدم بوتين على إنشاء هيكل حكم جديد في الفترة القادمة تضمن له مواصلة النفوذ في صناعة القرار الروسي.

موسكو – يجمع جل المتابعين للشأن السياسي الدولي طيلة العقدين الأخيرين على أن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين تمكّن في فترة حكمه من خلق توازن حقيقي داخل التوازنات الدولية عبر إعادته التنافس الكلاسيكي مع الولايات المتحدة والتسابق نحو ريادة العالم.

لكن في السنوات الأخيرة، وتحديدا في الأشهر القليلة الماضية، بدا الشارع الروسي أكثر غليانا من السنوات الأولى لحكم بوتين حيث عمت المظاهرات المدن الروسية احتجاجا على تردي الأوضاع الاقتصادية والاجتماعية في البلاد، ورغم ذلك ظل بوتين يحافظ على نسبة هامة من شعبيته التي حصّلها طيلة عشرين عاما.

وتمكن الرئيس الروسي فلاديمير بوتين، والمعروف برجل المخابرات الروسي، من ملامسة السلطة قبل عشرين عاما حين عيّنه الرئيس الروسي السابق بوريس يلتسين رئيس وزرائه الرابع في أقل من 18 شهرا، وكان بوتين آنذاك رئيسا غير معروف نسبيا لجهاز الاستخبارات ودون خبرة واسعة في السياسة.

كان يلتسين وقبل رحيله عن السلطة يبحث عن خلف له، وقلة توقعوا أن يظل بوتين على رأس السلطة بعد عقدين ويلعب دورا أساسيا في الشؤون العالمية.

ولكن هذه الذكرى تحل في فترة صعبة للرئيس الروسي. فرغم أن معدلات شعبيته لا تزال عالية مقارنة مع معظم نسب التأييد للقادة الغربيين إلا أنها تراجعت بعض الشيء بسبب جمود الاقتصاد وتدني مستويات المعيشة.

كما أن حركة الاحتجاج في موسكو أدت إلى توقيف الآلاف من الأشخاص في الأسابيع الماضية في أوسع حملة قمع منذ موجة التظاهرات ضد بوتين التي عمت العاصمة عند عودته إلى الكرملين عام 2012 بعدما كان رئيسا للوزراء. الدليل على الوضع المحرج الذي يعيشه بوتين الآن وهو يفكر بتأمين مستقبله السياسي بعد عام 2024، أن استطلاعا للرأي صدر مؤخرا عن "مركز ليفادا" أظهرت نتائجه الاثنين أن الروس لديهم وجهة نظر إيجابية تجاه الحكومة السوفييتية البائدة أكثر من حكومتهم الحالية.

وتمكّن من شملهم الاستطلاع من اختيار 5 خصائص من قائمة تضم أكثر من 20 صفة لوصف كل حكومة. وكانت الصفات الأربع المميزة للحكومة السوفييتية جميعها إيجابية، أما بالنسبة للحكومة الحالية فقد كانت صفاتها المميزة التي اختارها المستطلعة آراؤهم جميعها سلبية.

وقال 29 بالمئة ممن شاركوا في الاستطلاع إن الحكومة السوفييتية كانت "قريبة من الشعب"، بينما قال 25 بالمئة إنها كانت قوية ورأى 22 بالمئة أنها كانت "صائبة" وقال 20 بالمئة إنها كانت "شرعية".

بينما قال ما يقرب من نصف المشاركين في الاستطلاع (41 بالمئة) إن الحكومة الحالية "إجرامية وفاسدة". وكانت الخصائص الثلاث التالية هي أنها "بعيدة عن الشعب" (31 بالمئة) و"بيروقراطية" (24 بالمئة) و"قصيرة النظر" (19 بالمئة). وأشار 15 بالمئة فقط من المستطلعة آراؤهم إلى أنهم يعتقدون أن الحكومة الحالية شرعية.

وساهمت الصراعات الاقتصادية وما يتصل بها من إصلاح نظام المعاشات الذي رفع سن التقاعد خمس سنوات في تكوين صورة مظلمة للسلطات منذ انتخاب الرئيس فلاديمير بوتين العام الماضي لولاية رابعة في منصبه.

لكن الرئيس الروسي البالغ من العمر 66 عاما يواجه أيضا معضلة تحضير خلافته. فهذه آخر ولاية رئاسية له بحسب الدستور لكن بعدما استبعد كل منافسيه وهيمن على معظم وسائل الإعلام، يبدو أنه ليس هناك شخصية جاهزة لخلافته.

يرى محللون أنه من غير المرجح أن يسلم بوتين الذي تولى أطول فترة حكم في روسيا منذ جوزيف ستالين، السلطة بشكل كامل عند انتهاء ولايته في 2024.

كان الوضع مختلفا جدا حين فاز بوتين بأول انتخابات رئاسية خاضها بعد استقالة يلتسين المبكرة ليلة رأس السنة عام 2000.

وقال الصحافي البارز نيكولاي سفانيدزي الذي أجرى عدة مقابلات مع بوتين حين تسلم السلطة أول مرة في الكرملين إن "روسيا ورغم فقرها ومشاكلها مع الجريمة، لا تزال دولة ديمقراطية وليبرالية".

وأضاف "بعد 20 عاما في السلطة، هو لا يواجه أي قيود بأي شكل كان، هو عمليا سلطان".

من جهته يقول المحلل السياسي كونستانتين كالاتشيف، إن بوتين بدأ كليبرالي على استعداد للعمل مع الغرب لكن مع مرور الزمن تحوّل إلى محافظ أكثر متخذا مواقف أكثر عدائية.

وبعد الثورة البرتقالية في أوكرانيا التي اعتبر الكرملين أنها كانت مدعومة من حكومات أجنبية للحد من نفوذ روسيا في الجمهوريات السوفييتية السابقة، تغير موقف بوتين. وقال كالاتشيف إن موقف الغرب المستخف حيال روسيا وكذلك تدخله في العراق وليبيا وأماكن أخرى في العالم أدى إلى تغير موقف بوتين. وأضاف "أعتقد أن خيبة أمله كانت وراء هذا التغير نحو نهج أشد".

لكن الليبراليين الروس كانوا يشعرون منذ البداية بالقلق حيال موقف الرئيس وليس فقط بسبب ماضيه كرجل استخبارات وإنما بسبب قمعه الانفصاليين الشيشانيين حين كان رئيسا للوزراء. ولا تزال تدور تساؤلات حول سلسلة من التفجيرات الدامية التي استهدفت مجمع مبان سكنية روسية ونسبت إلى الانفصاليين لكن البعض يزعم أن أجهزة الاستخبارات نفذتها كغطاء لتدخل عسكري إضافي في الشيشان.

> يجري التفكير في روسيا بإنشاء هيئة جماعية لتوجيه البلاد، على أن يبقى بوتين رئيسها على الدوام في نظام مماثل لجمهورية كازاخستان السوفييتية السابقة

وأدى رد بوتين الحازم على هذه الأزمة إلى ارتفاع كبير في شعبيته لدى الرأي العام وساعده على الانتقال من وضع رئيس بالوكالة إلى رئيس منتخب بنسبة 53 بالمئة من الأصوات.

ولا يزال يحظى بتأييد شعبي كبير لدى شرائح واسعة من الرأي العام الروسي التي ترى فيه الرجل الذي أعاد لروسيا عزتها بعد الانهيار المذل للاتحاد السوفييتي، والذي ضمن استقرار البلاد بعد التغييرات في التسعينات.

يقول المحلل والمعلق الإعلامي غريغوري بوفت إن بوتين وفريقه يسعيان الآن لإيجاد سبيل يتيح لهما الحفاظ على نفوذهما بعد الخروج من الكرملين.

وأوضح أن هذا يمكن أن يتم عبر إقامة مؤسسة جديدة بدلا من عودة قصيرة إلى دور رئيس الوزراء للالتفاف على القيود الدستورية على الرئاسة كما حصل في العام 2008. وتابع "يجري التفكير بإنشاء هيئة جماعية لتوجيه البلاد، على أن يبقى بوتين رئيسها على الدوام" في نظام مماثل لجمهورية كازاخستان السوفييتية السابقة حيث تنحى الرئيس نور سلطان نزاربابيف لكنه يحتفظ بنفوذه في البلاد.

لكن إذا حصل هذا الأمر فإن بوتين سيكون بعيدا عن تسيير الشؤون اليومية لروسيا. وخلص بوفت إلى القول بأنه "سيواصل مراقبة شؤون البلاد، ودوره يقوم على إنجاز مهمته التاريخية".

رؤساء زاحموا الملوك في فترة البقاء على كرسي الحكم

باريس – على عكس بقية القوى الدولية كفرنسا أو الولايات المتحدة أو ألمانيا أوبريطانيا، التي تبني ديمقراطيتها على قاعدة التداول على السلطة، فتح احتفال الرئيس الروسي فلاديمير بوتين بقضائه الأربعاء 20 عاما بالتمام والكمال كرئيس لروسيا، سجلات البحث عن أطول الفترات القياسية التي قضاها زعماء وملوك في دفة الحكم.

ولا يزال فلاديمير بوتين الحاكم في روسيا منذ 20 عاماً، بعيداً عن الأرقام القياسية للفترات التي بقي فيها في السلطة كل من فيديل كاسترو وكيم إيل سونغ وتيودورو أوبيانغ نغيما الذي احتفل بأربعين عاماً رئيساً لغينيا الاستوائية.

ناهيك عن الملوك الذين يعتلون العرش مدى الحياة كالملكة إليزابيث الثانية ملكة بريطانيا البالغة 93 عاما من العمر والتي توصف بعميدة الحكّام مع 67 عاما في الحكم.

وبعدما سلّمت الملكة إليزابيث الثانية مؤخرا زعيم حزب المحافظين والسياسي المثير للجدل بوريس جونسون وثيقة تعيينه رئيسا للوزراء، يكون بذلك رئيس الوزراء الـ14 منذ جلوسها على عرش المملكة المتحدة قبل 67 عاما.

وبوتين الذي عيّن رئيسا للوزراء في أغسطس 1999 انتخب رئيساً في العام ألفين. وفي 2008 بعد ولايتين رئاسيتين متتاليتين، عهد بالكرملين إلى رئيس وزرائه ديمتري ميدفيديف وتولّى هو رئاسة الحكومة كون الدستور يمنع الرئيس من تولّي أكثر من ولايتين متتاليتين. وأصبح رئيساً من جديد في 2012 ثم أعيد انتخابه في 2018.

ومن بين القادة الذين ظلّوا في الحكم لأطول فترة، الزعيم الكوبي فيديل كاسترو الذي تولّى السلطة في 1959 وعهد بمنصبه إلى شقيقه راؤول بعد أن بقي 49 عاماً رئيسا للبلاد.

واتهم كاسترو حتى بعد رحيله بتأبيد السلطة لفائدة أسرته بدل التوجه إلى صناديق الاقتراع وفرض إرادة الشعب بعد اعتلاء شقيقه راؤول سدة الحكم في كوبا التي عانت سنوات طويلة من الحصار المفروض عليها من قبل الولايات المتحدة.

من جهته، قاد الزعيم القومي الصيني تشانغ كاي-تشيك البلاد لـ47 عاماً مع ألقاب مختلفة ثم تايوان إلى حيث لجأ في 1949 متقدّماً على مؤسس وزعيم كوريا الشمالية كيم إيل سونغ (46 عاما).

أما الزعيم الليبي معمر القذافي فقاد بلاده طيلة 42 عاما قبل أن يقتل في أكتوبر 2011 خلال حركة احتجاج سرعان ما تحوّلت إلى نزاع مسلح مازالت تداعياته تقوّض أمن ليبيا.

أما عمر بونغو أونديمبا فقد تولى رئاسة الغابون في عام 1967 وتوفي في 2009 بعد أكثر من 41 عاماً في السلطة.

وفي أوروبا تولّى الزعيم الألباني انفر هودجا الذي توفي في 1985، رئاسة بلاده طوال 40 عاماً. وببقائه في سدّة الحكم في غينيا الاستوائية لأربعين عاما يسجّل تيودورو أوبيانغ نغيما فترة قياسية في الحكم بعد الملكة إليزابيث الثانية.

وفي نفس السياق، يذكر أيضا أنه أعيد انتخاب الكاميروني بول بيا (86 عاما) في 2018 بعد وصوله إلى السلطة قبل 37 عاماً. وفي الكونغو بقي دنيس ساسو نغيسو في الحكم 35 عاماً ورئيس الوزراء الكمبودي هون سين 34 عاما والأوغندي ياويري موسيفيني 33 عاماً.

أما في إيران فإن آية الله علي خامنئي هو المرشد الأعلى للجمهورية الإسلامية منذ وفاة الإمام الخميني في 1989.كما أعيد في البلد الأفريقي تشاد انتخاب إدريس ديبي إتنو في 2016 لولاية خامسة وهو في السلطة منذ 28 عاماً.

> فيديل كاسترو وكيم إيل سونغ وتيودورو أوبيانغ نغيما دخلوا التاريخ بتحقيقهم أرقاما قياسية في فترات البقاء في السلطة

ويقود إمام علي رحمانوف الذي وصل إلى السلطة في 1992 بعد تفكّك الاتحاد السوفييتي، طاجيكستان بقبضة من حديد منذ 27 عاماً. أما نظيره الإيريتري أسياس أفورقي فإنه يحكم البلاد منذ استقلالها في 1993 أي منذ 26 عاماً.

في المقابل، يحكم رئيس بيلاروسيا ألكسندر لوكاشينكو الذي وصل إلى السلطة في 1994، البلاد منذ 25 عاما. وفي جيبوتي يحكم الرئيس إسماعيل عمر جيله البلاد منذ 20 عاما.

ورغم أن النظام الملكي لا يثير جدلا كبيرا بشأن البقاء في عرش الحكم، فإن امتداد فترة الحكم في ظل أنظمة رئاسية تحتكم إلى الديمقراطية وإلى صندوق الانتخاب من الأمور التي تفتح في الكثير من المرات العديد من التساؤلات حول تمترس بعض القادة ورفضهم فكرة التداول على السلطة.

وعلى عكس بعض الديمقراطيات العريقة، التي لا تتجاوز فيها المدد الرئاسية ولايتين على أقصى تقدير، فإن بعض التجارب في بعض الدول مثل روسيا التي يحكمها بوتين منذ عقدين وكذلك تركيا المحكومة بقبضة من حديد من قبل رئيسها رجب طيّب أردوغان تثبت وفق العديد من المتابعين، أن بعض القادة يطوعون مسألة الشرعية الانتخابية، ومن ثمة يتجهون إلى فكرة تأبيد السلطة إما عبر الترهيب وإما من خلال تزوير الانتخابات وإما عبر إجراء تنقيحات وتعديلات على الدساتير بما يخدم مصالح الزعماء ويضمن مستقبلهم السياسي.

كاسترو بنصف قرن من الحكم